{وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}

{وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } [آل عمران: ١٢٦]

{وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ١٠]

فالنصر في القرآن الكريم كما ذكر المفسرون في معنى النصر أنه يأتي على أربعة أوجه:

أحدها: المنع، ومنها قول الله تعالى: {فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [البقرة: ٨٦]، لا يمنع عنهم العذاب، ولا يمتنعون من العذاب.

والثاني: بمعنى العون، ومنه قول الله تعالى: {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ} [الحج: ٤٠].

والثالث: بمعنى الظفر، ومنه قوله تعالى: {وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [آل عمران: ١٤٧].

الرابع: الانتقام؛ كقوله تعالى: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلِ} [الشورى: ٤١]، وفي سورة القمر: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ} [القمر: ١٠].

ومن هذه المعاني يظهر أن النصر له صور متعددة يجعلها الله لعباده، فقد ينصرهم بمنعهم من أعدائهم؛ فيمتنعون.

وقد يكون النصر بالعون على العدو.

طبعًا إذا كان الحصن منيعًا لا يمكن اختراقه، فيرزق الله المسلمين المنعة، هذا معنى من معاني النصر.

فإذن، النصر قد يكون من الله تعالى بأن يرزق المسلمين المنعة، فلا يمكن للعدو أن يخترقهم.

وقد يكون النصر بالعون على العدو؛ وهو الظفر المادي والتمكين.

وقد يكون النصر بالانتقام من الكافرين، كأن ينزل الله بالكافرين عذابًا من عنده، أمرًا سماويًّا، هلاكًا، إلى غير ذلك من الوجوه، ومنها انتقام المؤمنين من الكافرين.

<u>وهذا النصر والتأييد من الله لعباده المؤمنين قد يكون على المستوى العام وقد يكون على المستوى الشخصي ولا بد من ثبوت شروط وانتفاء موانع.</u>

ومن أهم هذه الشروط الخضوع والتذلل لله تعالى واللجوء إليه والتبروء من الحول والقوة

العاملُ الأولُ: الدعاءُ :فالدعاءُ أقوى عواملِ النصرِ لدَى المسلمينَ عبرَ العصورِ والقرونِ، وهذا واضحٌ مِن خلالِ المواقفِ العديدةِ للرسولِ ﷺ، فعَن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ؛ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ".(مسلم).

وحين رأىَ رسولُ اللهِ ﷺ جندَ قريشٍ قالَ: "اللّهُمّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا ، تُحَادّك وَتُكَذّبُ رَسُولَك، اللّهُمّ فَنَصْرَك الّذِي وَعَدْتنِي ، اللّهُمَّ أَحِنْهُمْ الْغَدَاةَ." (سيرة ابن هشام). فكانَ النصرُ حليفَ المسلمين.

ومِمَّا يدلُّ على أنَّ النصرَ يُستنزلُ بالدعاءِ ما قالَهُ أسدُ بنُ عبدالله القسرِي أميرُ خراسانَ في قتالِهِ للفرسِ: " إنَّه بلغنِي أنَّ العبدَ أقربُ ما يكونُ إلى اللهِ إذا وضعَ جبهتَهُ للهِ، وإنِّي نازلٌ وواضعٌ جبهتِي، فادعُوا اللهَ واسجدُوا لربِّكُم، وأخلصُوا لهُ الدعاءَ، ففعلُوا، ثمَّ رفعُوا رؤوسَهُم، وهم لا يشكُّونَ في الفتحِ."

لهذا كان الدعاءُ في الغزوِ مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا مع المجاهدينَ في أرضِ المعركةِ، وقد بوَّبَ الإمامُ الترمذيُّ في جامعهِ (بابٌ في الدعاءِ إذا غزَا) وأوردَ تحتَهُ ما رواهُ أنسُ بنُ مالكٍ .رضي اللهُ عنه .قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا غزَا قال:" اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي؛ وَأَنْتَ نَصِيرِي، وَبِكَ أُقَاتِلُ " . (الترمذي).

<u>فضل الدعاء:</u>

<u>- قال الله تعالى:</u> {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} سورة غافر، الآية: ٦٠.

دلت الآية الكريمة على أن الدعاء عبادة عظيمة- فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ))، وقد استدل بعض العلماء من قوله تعالى: {ادْعُونِي} ((أن الدعاء واجب، إذ لا صارف له عن الوجوب))؛ لأن الأصل في الأوامر.

<u>-الدعاء أكرم شيء على الله :</u> عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ)) .

والمراد بقوله: ((أكرم)): ((أي أسرع ميلاً، وأنفع تأثيراً، وأكثر فضلاً)) ؛ لما فيه من التذلل، والانكسار، والاعتراف بقوة اللَّه تعالى، وكمال قدرته، وغناه، ودلّ هذا الحديث أيضاً على فضل الدعاء، وعلو منزلته؛ لأنه يجتمع فيه من أنوع التعبد ما لا يجتمع في غيره، حيث لم توصف عبادة بهذا اللفظ سواه، فينبغي للعبد أن يلازمه، ويكثر منه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

<u>- قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ)) .</u>

وفي لفظ: ((ادْعُوا فَإِنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ)).

فينبغي للعبد أن يعلم أن للدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات:

١ - أن يكون الدعاء أقوى من البلاء،فيدفعه لاستكماله شروط وواجبات الدعاء ومستحباته

٢ - أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد لنقص في الداعي: مثل قلة اليقين، أو الغفلة، وغير ذلك من التخلف في واجباته وشروطه، ولكن قد يخففه على قدر تحققه من أسباب الإجابة.

٣ - أن يتقاوما، ويمنع كل منهما صاحبه.

<u>آداب الدعاء وأسباب الإجابة:</u>

<u>- أن يبدأ بحمد للَّه، والثناء عليه، ثم بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم -، ويختم بذلك.</u>

فقد سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً يدعو في صلاته، فلم يُصلِّ على النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((عَجِّلَ هَذَا))، ثم دعاهُ فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: ((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحمِيدِ ربه وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -، ثُمَّ لِيَدْعُ بِمَا شَاءَ))

ودلَّت السنة كما تقدم على أهمية الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - حال الدعاء؛ لأنها أقرب لحصول الإجابة، بل وأكدت على أنَّ تارك الصلاة على النبي - صلى الله عليه

وسلم - قد يحجب دعاؤه، ((كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -))، وهذا الأثر جاء عن علي - رضي الله عنه -، وهو في حكم المرفوع؛ لأن مثله لايقال من قبل الرأي؛ لأنه من أمور الغيب التي لا تدرك إلا بد ليل شرعي.

- الثقة وحسن الظن بالله (الجزم في الدعاء واليقين بالإجابة):

((فمن أعظم الشروط لقبول الدعاء الثقة باللَّه تعالى، وأنه على كل شيء قدير، فاللَّه تعالى لكمال قدرته يقول للشيء كن فيكون، قال تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}

وقد أمرنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أن نعزم حال دعائنا فقال: ((إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ وَلَا يَقُلْ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ))

قوله: ((فليعزم)) أي يحسن الظن باللَّه في الإجابة؛ لأنه يدعو رباً كريماً جواداً قديراً، وإذا تأكد هذا الأمر في قلب العبد، فليدعُ مستيقناً بإجابة ربه تعالى له، قال - صلى الله عليه وسلم -: ((ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ)).

واللَّه تعالى يجيب دعاء عبده على قدر حسن ظنه به، قال تعالى في الحديث القدسي: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ))

- حُضور القلب في الدعاء.

((ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ))

قال عبد اللَّه بن مسعود - رضي الله عنه -: ((إن اللَّه لا يقبل من مسمِّعٍ، ولا مراء، ولا لاعب، إلا داعٍ دعا يثبت من قلبه))

فغفلة القلب حال الدعاء تبطل قوته، وتضعف أثره، فيصبح بمنزلة القوس الرخو جداً، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، ولا يبلغ الهدف المقصود.

- خفض الصوت بالدعاء بين المخافتة والجهر.

قال جل وعلا: {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

وذكر ابن القيم رحمه اللَّه تعالى في فوائد خفض الصوت والإسرار بالدعاء فوائد عديدة، وأسراراً بديعة، منها:

١ - ((أنه أعظم إيماناً.

٢ - أنه أعظم في الأدب والتعظيم.

٣ - أنه أبلغ في التضرع والخشوع.

٤ - أنه أبلغ في الإخلاص.

٥ - أنه أبلغ في حضور القلب على اللَّه تعالى في الدعاء.

٦ - أنه دال على قرب صاحبه من اللَّه - عز وجل -.

٧ - أنه أدعى لدوام الطلب والسؤال ...))

رفع الأيدي في الدعاء.

قال - صلى اللَّه عليه وسلم -: ((إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا)) وجاء في لفظ آخر: ((صفراً خائبتين)) ومعنى ((صفراً)): أي فارغة. وفي لفظ: ((حتى يضع فيهما خيراً))

- أن يكون المطعم والمشرب والملبس من حلال.

فمن أراد أن يكون مجاب الدعوة، فليجتهد في أن يكون مأكله ومشربه وملبسه من الحلال، فللحلال سر عجيب في قبول الأعمال عند اللَّه تعالى، ومن آكدها الدعاء، وقد تقدم آنفاً

قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، ... ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ثُمَّ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ)).
وفي الحديث إشارة إلى أنه ينبغي الاعتناء بالحلال لمن أراد الدعاء أكثر من غيره .
ولما سُئل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقال: ((ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها، ومن أين خرجت)) .